باب ما جاء في التنجيم

باب ما جاء في التنجيم:

تقدم أيها الفضلاء أن الشيخ رحمه الله عز وجل لنصحه للأمه عقد ابوابا في أمور يكثر وقوعها من جماعات تنتسب إلى الاسلام وهي كفر أو شعبة من الكفر وبدأ بالسحر والكهانة ثم أتبعه بالتطير وهو شعبة من السحر ثم أعقبه بالتنجيم وهو شعبة من السحر كما تقدم معنا "من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد" هكذا قال النبي ﷺ وبهذا يظهر لك أيها المبارك، دقة الشيخ رحمه الله عز وجل في ترتيب هذه الأبواب. ووجه كون التنجيم من السحر أن التنجيم يعتمد على أمر خفي ليس على أسباب معلومة أجراها الله عز وجل وعلمها لعباده وإنما يعتمد على أمر خفي فيأتي المنجم زاعما أن هذا العام سيحدث فيه من الكوارث كذا وكذا، ويموت فيه الزعيم الفلاني ويولد فيه شخص عظيم ويفتح فيه كذا وتحصل مصيبة في بلد كذا... بأسباب أو بأمور خفية ليست بأمور معلومة جعلها الله عز وجل أسبابا، وهذا مثل السحر لأن السحر كما تقدم أمر خفي يعتمد على امور خفية ولأن في التنجيم ادعاء لعلم الغيب كما أن السحر نوع من ادعاء علم الغيب.

والنجوم من مخلوقات الله عز وجل خلقها الله عز وجل في السماء وامتن بها على عباده والله لا يمتن إلا بعظيم نافع، فالعظيم سبحانه لا يمتن على عباده إلا بالأمور عظيمة التي يعظم نفعها لعباده سبحانه وتعالى ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ فالله عز وجل خلق النجوم على هذه الهيئة العجيبة وعلى هذه الاحجام الكبيرة ولا زال الناس يكتشفون في خلق النجوم الشيء الكثير، من جهة عظم خلقتها وما يتعلق بالدقة العظيمة في سيرها، والله عز وجل الذي خلقهن هو الذي أمرهن بهذا الانتظام العجيب في الكون فأطعنه؛ فالله عز وجل له الخلق سبحانه وتعالى وله الامر والله عز وجل قد خلق النجوم لحكم عظيمة ومنافع كبيرة بينها سبحانه في كتابه الكريم فمن ابتغى بالنجوم غير ماخلقه الله له وأخبرنا به فقد ضل وغوى ولذا بدأ الشيخ رحمه الله عز وجل هذا الباب وافتتحه بافتتاح موفق عظيم وهو ما يدل على ما خلق الله عز وجل له النجوم وما في ابتغاء ما وراء ذلك من الفتنة والشر.

فكان قول الشيخ باب ما جاء في التنجيم أي :ما جاء من النصوص وآثار السلف في علم التنجيم من جهة تعلمه ومن جهة حكمه.

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها،فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. انتهى.

هذا الأثر الذي علقه البخاري في الصحيح، ووصله غيره كالطبري في تفسيره، وابن أبي حاتم في تفسيره، قال فيه قتادة، وقتادة كما تعلمون هو العالم الكبير، التابعي، الثقة، الثبت، واسع العلم، رحمه الله عز وجل رحمة واسعة، قال: "**خلق الله هذه النجوم لثلاث حكم عظيمات: زينة للسماء**"

فالله عز وجل زين السماء الدنيا بالنجوم، وجعلها زينة لها، وهذا ظاهر، فإن العبد في الليل إذا نظر في السماء، ورأى تلألؤ النجوم في السماء!، رأى هذه الزينة لهذه السماء!.

"**ورجوما للشياطين**" فجعل في السماء نجوما تحفظ بها السماء من استراق الشياطين السمع.

"**وعلامات يهتدى بها**" في ظلمات البر والبحر، يعرف بها العباد الجهات، وطريق السير، فيكون الواحد فيهم في ظلمة البحر، وفي لجة البحر، ويعرف إلى أين يتجه، مع أن البحر لا علامة فيه، بل هو مكان يعني مستوي الجهات، فإذا كان في الظلمة فالأمر أشد، ومع ذلك فالعبد بما علمه الله ينظر في النجوم، فيعرف الجهة، ويسير ولا يتيه في البحر، وكذلك في البر، إذا كان في الصحراء، وفي ظلمة الليل البهيم، فإنه يستطيع أن يعرف الجهة بالنظر في النجوم، بما علمه الله عز وجل.

"**فمن تأول فيها غير ذلك**" فظن أنها أسباب لما لم يجعلها الله أسبابا له، أو أنها مؤثرة في الكون، فكما يقول بعض الضلال، الذين ما عرفوا التوحيد، يقولون إن الكواكب العلوية تؤثر في المخلوقات السفلية، ويعنون بالكواكب العلوية النجوم، والمخلوقات السفلية من على الأرض، فقد أخطأ الهدى، وضل عن طريقه، وأضاع نصيبه، فإن نصيب العبد ينبغي أن يكون في الخير، فإذا تأول في النجوم غير ما خلقها الله له، فإنه يكون أضاع نصيبه من الخير، وتكلف ما لا علم له به، فهذا تكلف وليس علماً!، وهو يخضع العبد المخلوق لمخلوق مثله، فيصبح العبد يخاف من النجوم، والله أكرم العبد فجعل خوفه من رب النجوم سبحانه وتعالى.

وهذا الأثر عن قتادة له تمام، فقد جاء في هذا الأثر أن قتادة قال: **"وإن أناساً جهلة بأمر الله، قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة، وجعلوا يتكهنون بها"**، قال: **"من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا"**.

يأتي الآن المنجمون ويقولون للرجل أنت من كوكب الزهرة، فإذا تزوجت امرأة من كوكب كذا حصلت لكما السعادة، وترزقان بأولاد، ونحو ذلك.

"من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا"، ويقول المنجمون اليوم للناس: أنت من برج الجوزاء، فإذا تاجرت في هذا الأسبوع فستحصل لك خسارة عظيمة!، وإذا سافرت في هذا الأسبوع، سيكون سفرك غير موفق، ونحو ذلك.

ويقول قتادة: **"ولعمري، ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود، والقصير والطويل، والحسن والذميم"**.

يقول: النجوم ما لها تأثير، لو نظر العقلاء، فكل نجم، وكل برج، يولد فيه أحمر وأبيض وأسود، ما فيه نجم خاص بالبيض، يولد فيه البيض، ممنوع على السود!، ممنوع على السمر!، ممنوع على الحمر!، وإنما يولد الناس هذا أحمر، وهذا أبيض، وهذا أسمر، وهذا أسود، وهذا طويل، وهدا قصير، طوهذا جميل، وهذا ذميم، في نجم واحد، وقت واحد. يقول: **"وما علم هذا النجم، وهذه الدابة، وهذا الطائر شيئاً من الغيب!، وقضى الله أنه لا يعلم من في السماوات ومن في الأرض الغيب إلا الله"**.

وهذا الذي قرره قتادة قرره كثير من السلف، ومن ذلك قول بلال العنزي: **"من قال في هذه النجوم سوى هذه الثلاث فهو كاذب، آثم، مفتر، مبتدع"**، رواه عنه الطبري في تفسيره.

فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها الإمام قتادة رحمه الله عز وجل هي التي خلق الله النجوم لها، وأخبرنا بها في كتابه، الأول منها: أنها زينة للسماء. والثاني: أنها رجوم للشياطين، فبها تحفظ السماء،﴿ **إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ** ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ**﴾.والثالث: أنها علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، قال الله عز وجل: ﴿**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ وقال سبحانه: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِقَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾

ولما كان ذلك كذلك أيها الأخوة، كانت العلوم المتعلقة بالنجوم من جهة التفصيل أربعة، العلوم التي يتعاطاها الناس، وتتعلق بالنجوم على جهة التفصيل أربعة:

الأول: علم دراسة النجوم من جهة مواقعها، وطبيعتها، وأحجامها، وسيرها، وهذا جزء مما يسمى بعلم الفلك، ويبنى على أشياء محسوسة، وهذا علم مباح.

والثاني: علم التسيير: أي علم معرفة كون النجوم علامات على الجهات ونحوها، وهذا علم جائز، لا حرج في تعلمه على الراجح من أقوال أهل العلم، نعم -كما سيأتينا- بعض السلف منعوا منه، لكن الصواب أنه علم جائز، بل في الحقيقة أن تعلمه من غير تكلف وتعمق مستحب، لما في ذلك من نفع الناس، وكل علم نافع للناس لا ضرر فيه فتعلمه مستحب، كل علم ينفع الناس ولا ضرر فيه تعلمه مستحب، تعلم الطب مستحب، تعلم الهندسة مستحب، فيه نفع للناس، ولا ضرر فيه، وإذا تعلم أفراد من الأمة هذه العلوم فإنهم يغنون الأمة عن الكفار، وهذا أمر مطلوب، وقد يكون تعلم هذا العلم واجبا على الإنسان، وذلك إذا كان لا يستطيع معرفة القبلة إلا بمعرفة النجوم، فهنا يجب عليه أن يتعلم هذا؛ لأن معرفة جهة القبلة واجبة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، إذا هذا هو النوع الثاني.

والنوع الثالث: علم الاستدلال بالنجوم على أمور تقع في المستقبل، بحكم التجربة والمعتاد، بأمور حسية، كمعرفة زمن دخول الحر، وزمن دخول البرد، فيقال إذا طلع نجم كذا فهذه بداية فصل الصيف، أو إذا طلع نجم كذا يشتد الحر، أو إذا طلع نجم كذا فهذه بداية فصل الشتاء، أو إذا طلع نجم كذا فإنه وقت اشتداد البرد، أو معرفة زمن الكسوف والخسوف، كما يحصل اليوم، يقولون سيحصل في سنة كذا كسوف أو خسوف، وهذا ليس من باب ادعاء علم الغيب، وإنما بدراسة سير النجوم المعتاد، فيعرفون بهذا زمن الكسوف والخسوف؛ لأن الله جعل هذا على طريقة منتظمة، بدون اعتقاد أنها مؤثرة، وإنما على أنها علامات جعلها الله في الكون لهذه الأمور، وقد عرفت وعلمت، فليست أموراً موهومة، وليست أموراً خفية، فهذا العلم أيضاً جائز لا حرج فيه على الراجح، وإن كان من أهل العلم من حرمه سدا للذرائع، لكن هذا العلم لا محذور فيه، إذ لا يعتقد فيه تأثير الكواكب في الأحداث، ولا يعتقد فيه أنها أسباب حيث لم يجعلها الله أسبابا، وإنما يعرف بمسيرها حدوث هذه الأمور بحكم العادة، ودراسة سير الكواكب دراسة علمية.

والنوع الرابع: علم التأثير: وهو علم النظر في النجوم لمعرفة الأمور الغيبية، وما يقع للأفراد والجماعات في المستقبل، أو اعتقاد تأثير الكواكب في الكون، بحيث يضاف الفعل إليها .يأتي المنجمون كما قلنا في بداية كل سنة ميلادية، ويقولون هذه السنة سيحدث فيها من الأحداث كذا وكذا وكذا، ويموت أربعة من الزعماء، وتضرب بعض الدول، ونحو ذلك، فيدعون علم الغيب بغير أسباب شرعية ولا حسية، وإنما أمور خفية وأوهام، أو يعتقد تأثير الكواكب في الأحداث في الأرض، وينسب ذلك إلى الكواكب، فيقول القائل

مثلاً: مطرنا بنوء كذا، ليس في نوء كذا، ليس أن مطرنا في زمن كذا، في نوء كذا، لا!، يقول مطرنا بتوء، والباء هنا -كما سيأتينا إن شاء الله في الباب التالي- إما أنها تأثيرية للتأثير، ويكون المعنى أن النجم هو الذي أثر في المطر، وهذا -والعياذ بالله- شرك أكبر، وإما أنها للسببية، أي مطرنا بسبب الكوكب، بسبب النجم، وهذا شرك أصغر.

وسيأتي إن شاء الله الكلام عن هذا، لكن لأنا تكلمنا الآن عن هذا المعنى، فهذا حرام، وهو شعبة من السحر، بل هذا كفر أكبر؛ لأن فيه ادعاء علم الغيب، وفيه تكذيب القرآن؛ ولأن فيه اعتقاد أن النجوم مؤثرات من دون الله عز وجل، فهذا كفر أكبر يخرج من الملة.

وقد خاف النبي ﷺ على أمته في آخر الزمان الإيمان بالنجوم، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "إن أخوف ما أتخوف على أمتي آخر الزمان ثلاثاً: إيماناً بالنجوم، وتكذيبا بالقدر، وحيف السلطان!".

"إيماناً بالنجوم" :ليس المقصود الإيمان بوجودها، والإيمان بكونها زينة، وبكونها رجوما، وبكونها علامات معلومة، فإن هذا من الدين، وإنما المقصود الإيمان بالنجوم في علم التأثير الذي بيناه، وتكذيبا بالقدر، ويأتي أناس ويقولون لا نؤمن بالقدر.

"وحيف السلطان": ظلم وجور السلطان، فإن هذا خافه النبي ﷺ على أمته في آخر الزمان، وهذا يدل على أنه سيقع وقوعا كثيراً منتشرا، وأن شره عظيم، ولذلك قال النبي ﷺ: "إن أخوف ما أتخوف على أمتي آخر الزمان...".وهذا الحديث رواه أبو عمر الداني، وذكره الألباني في الصحيحة، وقال: له شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة.

وهناك شيء يتعلق بعلم التأثير يكون شركا أصغر، وهو اعتقاد أن النجوم أسباب لقدر الله عز وجل، فمن يولد في البرج الفلاني يكون سعيداً بقدر الله، ومن يولد في البرج الفلاني يكون جميلاً بقدر الله، فهؤلاء يقولون الأمور بقدر الله ومشيئة الله، ولكن يجعلون النجوم أسبابا لأقدار الله، والله لم يجعلها أسبابا، فهذا شرك أصغر!؛ لأنه تقدم معنا أن من الشرك الأصغر أن يجعل العبد سبباً لشيء لم يجعله الله سبباً شرعياً له ولا عادياً، فلم تدل الأدلة الشرعية على أنه سبب، ولم تدل الأمور العادية المعلومة على أنه سبب، فجعله سببا من الشرك الأصغر. ثم نستطيع أن نجمل هذه العلوم الأربعة إلى علمين:

الأول: علم التسيير: ويدخل فيها الأول والثاني والثالث، وهذا جائز على الراجح.

والثاني: علم التأثير: وهو النوع الرابع على ما فصلناه.

وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص إبن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

هنا يتكلم المصنف عن حكم تعلم منازل القمر والنجوم وأبراج الشمس من أجل معرفة العلامات لا من أجل التأثير، التأثير مجمع على تحريمه وأنه داخل في الشرك، ولكن ماحكم تعلم منازل القمر؟

لأن القمر كما تعرفون ياإخوة له منازل في الشهر ثمان وعشرون منزلة في الشهر كل يوم له منزلة الله عز وجل قدر القمر منازل خلال الشهر ثمان وعشرون منزلة والشمس لها ابراج إثنا عشر برجا في السنة، وهذه الابراج فيها الفصول الأربعة كل ثلاث ابراج فيها فصل، الربيع والصيف والخريف والشتاء، ماحكم تعلم منازل القمر وأبراج الشمس؟ والنجوم أين تطلع وعلى أي هيئة ومتى؟ في الليل .

اختلف السلف في تعلم ذلك من أجل معرفة العلامات؛ فكره بعض السلف ذلك وكره عند السلف تعني **حرم**.

قال:وكره قتادة هذا التابعي الذي تكلمنا عنه تعلم منازل القمر، حرم ومنع من تعلم منازل القمر مطلقا، ولم يرخص ابن عيينة فيه، أيضا حرم ذلك ابن عيينة وذلك سدا للذريعة.

يخافون يا إخوة أن يتدرج الشيطان بالإنسان في تعلم هذه المنازل فالأول يتعلم هذه المنازل لمعرفة الأماكن والعلامات ثم يأخذه الشيطان خطوة ادرس مايقول هؤلاء من تأثير الابراج في الكون حتى يقع في المحضور، فقالوا سدا للذريعة نحرم تعلم هذه المنازل.

وذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى أن تعلم منازل القمر والنجوم وأبراج الشمس من أجل علم التسيير من أجل غير المحضور جائز، بل النافع منه مستحب أو واجب ولذلك :و رخص في تعلم ذلك أحمد وإسحاق بل ذكر الامام احمد رحمه الله أنه تعلم شيء من ذلك عن أهل مكة، وهذا هو مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف أن هذا جائز ولا حرج فيه وهذا هو الراجح الظاهر رجحانه.

وعن أبي موسى قال،قال رسول الله ﷺ:"ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر و قاطع رحم و مصدق بالسحر". رواه أحمد و ابن حبان في صحيحه

هذا الحديث رواه أحمد و ابن حبان في صحيحه كما قال المصنف و رواه الحاكم في المستدرك و رواه الطبراني و غيرهم و قد صححه ابن حبان و صححه الحاكم و أشار إلى ضعف في إسناده ينجبر و في